



مركز الملك عبد العزيز
للحوار الوطني

الحوار النبوي المبادئ والأساليب

د. سعيد بن إسماعيل صيني

رسائل
في الحوار

08 |



الحوار النبوي المبادئ والأساليب

د. سعيد بن إسماعيل صيني

٢٠١١م / ١٤٣٢هـ

ح

مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

صيني، سعيد بن إسماعيل

الحوار النبوي المبادئ والأساليب ، د. سعيد بن إسماعيل صيني ،

الرياض، ط ٢، ١٤٣٢هـ

٨٠ ص: ١٧ × ٢١ سم.

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠١٢٧-٤-٠

١ - الحوار النبوي المبادئ والأساليب ٢ - السيرة النبوية أ- العنوان

ديوي: ٢١٣ ١٤٣١/٣٣١

الطبعة الخامسة، ١٤٣٨هـ

رقم الإيداع: ١٤٣١/٣٣١

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠١٢٧-٤-٠

جميع حقوق الطبع محفوظة

مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني

الرياض، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

ص.ب. ٨٩٨٦٦ ، الرياض ١١٦٩٢

البريد الإلكتروني: rs@kacnd.org

www.kacnd.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المشرف العام

معالي الأستاذ: فيصل بن عبدالرحمن بن معمر

نائب المشرف العام

الدكتور: فهد بن سلطان السلطان

هيئة التحرير

- | | |
|--------|----------------------------------|
| رئيساً | أ. د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي |
| عضواً | أ. د. عبدالله بن حسين الخليفة |
| عضواً | أ. د. محمد بن عبدالعزيز الحيزان |
| عضواً | د. خالد بن عبدالكريم البكر |
| عضواً | د. محمد بن عبدالله الشويمر |
| عضواً | د. فاطمة بنت محمد القرني |
| عضواً | د. نوال بنت عبدالعزيز العيد |
| عضواً | د. وفاء بنت حمد التويجري |
| عضواً | أ. فاطمة بنت فيصل العتيبي |

إدارة التحرير

- أ. متعب بن سلمان الشمري
- أ. عبدالله بن ناصر الخريف
- أ. خلود بنت محمد الجبران
- أ. لطيفة بنت سالم المنيع
- أ. أسماء بنت عبدالله العبد الواحد

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
١٠	المقدمة
١٢	الهدف في الحوارات النبوية
١٣	المبدأ الأساس للحوارات النبوية
١٥	حريات ضمنتها الحوارات النبوية
١٥	حرية اختيار الدين
٢٨	حرية اختيار الدرجات
٢٩	حرية المراجعة
٢٩	مراجعة على خبر
٣٧	مراجعة على قرار أو فعل
٤٣	التبليغ بالإقناع
٤٦	الترغيب والتيسير
٥٣	الخلاصة والتوصيات
٥٥	قائمة المراجع

تصدير

الحمد لله حمداً تقتضيه نعمه وآلؤه ، والصلوات والطيبات والتسليمات على النبي المختار ، محمد وآله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

جاء في أهداف تأسيس مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ترسيخ مفهوم الحوار وسلوكياته في المجتمع من خلال عدة برامج منها: اللقاءات ، والندوات، والتدريب، والدراسات والبحوث .

ومن هنا عُني المركز بنشر كثير من المطبوعات التي تنسجم مع رسالته، وتحقق أهدافه .

و سلسلة رسائل في الحوار هي واحدة من المشروعات الفكرية التي أطلقها المركز ، لتستهدف شرائح المجتمع كافة، ولذا روعي فيها سهولة العبارة، ووضوح المعنى .

ولما ينطوي عليه هذا المشروع من أبعاد ثقافية وفكرية نبيلة تلقى هذه الرسائل تفاعلاً إيجابياً من لدن الباحثين، حسب تنوع تخصصاتهم، الأمر الذي يدفع المركز إلى مزيد من الاهتمام بمثل هذه المطبوعات، ويضاعف - في الوقت نفسه - مسؤولياته تجاه المجتمع، في ظل دعم الدولة لجهود المركز ونشاطاته ..

وهذا الكتاب الذي نضعه بين يدي القارئ هو أحد ثمار هذه السلسلة، والذي يحمل عنوان : (الحوار النبوي المبادئ والأساليب) .

فللكاتب منا جزيل الدعاء والثناء، وللقارئ الكريم وافر الود والتقدير

والله من وراء القصد ..

هيئة التحرير

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه البررة الميامين، وبعد :

إن الحديث عن الحوار النبوي ذو شجون؛ لأن كل حوار من حواراته مشحون بالمبادئ السامية والأساليب المبدعة، ولكن الوقت والصفحات المحددة لا تستوعب إلا بعض النماذج، لهذا، فإن الكتاب الذي بين يديك أيها القارئ الكريم ليس إلا باقة اجتهد الكاتب في اختيارها، تحت موضوع كثر الحديث فيه، باسم الإصلاح، في هذه الأيام، ألا وهو حقوق الإنسان .

يعتقد كثيرون أن النظام الديمقراطي هو الذي جاء بحقوق الفرد وبحرية التعبير، أو بحقه في المشاركة والاعتراض في القضايا العامة، ولهذا كان الهدف الأساس من هذا الكتاب هو التعرف إلى الأساليب النبوية والوسائل التي كان يستخدمها النبي صلى الله عليه وسلم في محاوراته، والتي قد لا يعرفها بعضهم إلا من خلال النظام الديمقراطي .

وقد جمع المؤلف معظم الحوارات النبوية، ولم يستبعد منها إلا القليل، وقام باستقراؤها فوجد أن المبدأ الأساس للحوارات النبوية يرتكز، بوضوح، على مبدأ احترام حقوق الفرد وحرية، ولكن في حدود ضوابط وضعها الإسلام؛ ليكفل له السعادة في الدنيا والآخرة، ويستند هذا المبدأ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١) ومن التكريم والتفضيل أن منحهم درجة من الحرية عالية، مقارنة بحريات المخلوقات غير المكلفة، ولما كان الله قد أرسل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، فإنه كان عليه الصلاة والسلام يحرص على مراعاة هذه الحرية التي وهبها الله لعباده، ليتمتعوا بها في الحدود التي وضعها؛ لتكون اختباراً يحاسبون عليه في الآخرة خصوصاً، كما ينطلق هذا المبدأ من قوله تعالى :

{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }^(١) وهو مبدأ ينطلق من التكريم للإنسان ابتداءً، ثم يختار الإنسان برغبته الشخصية أن يحافظ على هذا التكريم في مستوى الحياة الدنيا فقط، أو في مستوى الحياة الدنيا والآخرة، لهذا كان من السمات البارزة للمبادئ التفصيلية التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على تطبيقها ما يأتي:

- مراعاته حرية الفرد في الاختيار بين الأديان، و الدرجات المكتسبة المتعددة.
- مراعاته حق الفرد في المراجعة، سواء التعليق على ما ينزل عليه، أو يشرعه، أو يتخذه قراراً.
- محاولته إقناع الطرف الآخر، وإن كان ما يعلمه له تشريعاً ملزماً.
- محاولته الترغيب في طاعة الله وتيسيرها على المخلوقات المكلفة (الجن والإنس).
- وهو عندما كان يلتزم بهذه المبادئ كان يراعي حال المحاور الآخر، وطبيعة الموضوع، وموقف الطرف الآخر من الموضوع، ونوع الأسلوب والوسيلة المتوافرة.

وسيتيم تقسيم النماذج المختارة في ضوء المبادئ الأربعة، التي قد تتداخل قليلاً، أما بالنسبة إلى الأساليب والوسائل وطبيعة الموضوع والطرف الآخر... فسيتم الحديث عنها في أثناء التعليق على النص، وينبغي للقارئ أن يلاحظ أن النموذج الواحد قد يرد فيه عدد من الأساليب والوسائل، تتفاعل تفاعلاً متقناً مع المضمون، ولهذا، يصعب وضع النماذج في أصناف مستقلة من الأساليب أو الوسائل.

ويرجو المؤلف من الله التوفيق والسداد، ويشكر مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني على تشجيعه لإنجاز هذا العمل المتواضع، كما يشكر كل من أسهم في إنجاز هذا الكتاب.

المؤلف

د. سعيد بن إسماعيل صالح صيني

الهدف في الحوارات النبوية

من المعلوم أن الغاية من خلق الله المخلوقات المكلفة قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (١) ولا يرضى سبحانه لعباده بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلا الإسلام ديناً، يقول تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (٢) فقد أرسل نبيه محمداً مبشراً ونذيراً ورحمة، ويقول تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (٣) ويأمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام بالدعوة إلى هذا الدين، فيقول تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (٤) وبهذا يتضح أن الهدف العام للمحاورات النبوية هو تبليغ الرسالة إلى الجن والإنس، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصاً على نجاة الجن والإنس حتى أنه كان يقلق ويتألم إذا لم يجد استجابة، فيطمئن الله سبحانه وتعالى بقوله: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} (٥).

وبقوله تعالى: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} (٦).

أما الأهداف الخاصة فهي تتعدد؛ وقد تختلف في كل محاوره عن الأخرى أو تتشابه معها، وهي كثيرة يدركها الإنسان من قراءته للحوار المحدد، وتختلف باختلاف المحاور الآخر، وموضوع الحوار، وموقف الطرف الآخر من الموضوع، ومن

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) سورة آل عمران: ١٩.

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٤) سورة النحل: ١٢٥.

(٥) سورة الكهف: ٦.

(٦) سورة النور: ٥٤.

هذه الأهداف في الحوارات النبوية على سبيل المثال: الإقناع بالإسلام، وتعليم الإسلام (معتقداته، وعباداته وتشريعاته) والتثبيت على الإيمان، والتعويد على التسليم لأوامر الله، والذود عن دين الله، وتيسير الطاعة لله، وحسن الاستثمار لنعم الله، والتعويد على المداومة في فعل الخيرات وتجنب الغلو فيها، وحفظ الحقوق.

المبدأ الأساس للحوارات النبوية

إن من يستقرئ التشريع الرباني يجد أن هناك قاعدة عامة ينبغي لكل من يفكر في الإصلاح أن يجعلها نصب عينيه، وأن يتذكرها وهو ينشئ النظام أو يصنعه أو يصوغه، أو يفسره، أو يطبقه، وهذه القاعدة هي: عدم التعرض لحرية الأفراد إلا عند الضرورة القصوى، أو ليحقق لهم مصلحة واضحة، فالله سبحانه وتعالى لا يحاسب العبد إلا لأنه أعطاه شيئاً من الحرية في الاختيار ليتمتع به وليحاسب عليه، يقول تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} ^(١) وجعل الله تعالى مجال المباح واسعاً؛ ليتحرك فيه بحرية.

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله عزَّ وجلَّ فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم حرماً فلا تنتهكوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها»، وفي رواية أبي الدرداء «... فلا تتكلفوها رحمة من الله فاقبلوها» ^(٢)

ويستنكر الله تعالى على من يحرم الزينة والطيبات التي منحها لعباده، حيث لم يحرم على عباده إلا ما كان يستحق التحريم.

يقول تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا} ^(٣)

(١) البقرة الآية (٢٥٦)

(٢) البيهقي، الكبرى: ما لم يذكر تحريمه رقم ١٩٥٠٩، ج ١٠: ١٢، الدارقطني، الرضاع رقم ٤٢.

(٣) الأعراف الآية (٢٢-٢٣)

ومما يؤكد أهمية هذه الحرية أيضاً تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من التسبب في تحريم الأشياء المباحة، حيث يقول: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ فَحَرَّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»^(١).

واقترضت حكمة الله أن يجعل الأحكام الشرعية تندرج ضمن خمسة أصناف في أرجح أقوال الفقهاء: الواجب، والمستحب، والمباح، والمكروه، والحرام^(٢) فترك الأحكام مجالاً للاختيار كبيراً، لا يقتصر على المباح المسكوت عنه، فحتى الأمور به يتدرج بين الفرض أو الواجب أو السنة أو المستحب؛ ويتدرج المنهي عنه بين الحرام والمكروه؛ ويترك المباح مجالاً واسعاً، وبهذا يترك مجالاً للتنافس وللتنوع والاستمتاع بحرية الاختيار بين المكافأة التي تتدرج بين المكافأة الكبيرة والصغيرة، والعقوبة التي تتدرج بين العقوبة الشديدة والخفيفة.

وانطلاقاً من مبدأ حق الفرد في الاختيار المقيد يسمح الإسلام لمن ينطبق عليه النظام بالمراجعة وبالمعارضة، وبالاقتناع بما يختاره لنفسه، ولكن في هيئة وحدات متكاملة بمعتقداتها وعباداتها وتشريعاتها ومبادئها الأخلاقية.

(١) البخاري: ما يكرهه رقم ٦٨٥٩؛ مسلم، توقيره صلى الله عليه وسلم رقم ٢٣٥٨.

(٢) انظر مثلاً: ابن الحاجب، منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل، الخلاف أصول الفقه، الربيع، علم أصول الفقه، حقيقته ومكانته وتاريخه ومادته، الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي،

حريات ضمنيتها الحوارات النبوية

عند استعراض الحوارات النبوية وفحصها يتضح لنا أنه في الإمكان تصنيف أبرز الحريات المضمونة في ثلاثة أنواع : حرية اختيار الدين ، حرية اختيار الدرجات ، وحرية مراجعة المشرع .

حرية اختيار الدين :

تنطلق الحرية في اختيار الدين من قوله تعالى : {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} (١) .

ومع حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إسلام جميع المخلوقات المكلفة، فإنه كان يراعي الحرية الفردية للمخاطب في اختيار ما يريد ويقتنع به، على أن يتحمل مسؤولية قراره، لهذا نجد أن الأسلوب النبوي مع الكافرين يتدرج من الإجابات والتعليقات المباشرة المختصرة، ثم التعليم لمن يبدي رغبة في الإسلام ومحاولة إقناع المسلمين منهم أو تأليف قلوبهم، ثم الذود عن الإسلام، ولكن بأسلوب يوازن بين الإشفاق والحزم، بما يتناسب مع حالة الكافر، ولعل أبرز مثال على أن المسلمين ينزعون إلى السلم بدلاً من الحرب تلك التنازلات التي قدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية بوصفه المشرع والقائد مما أثار معارضة واحتجاجاً شديداً، ولهذا ليس بدعاً أن تكون حكومة المملكة العربية السعودية من الدول التي شاركت في وضع الأساس لهيئة الأمم المتحدة، ودعا خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله إلى الحوار بين ممثلي الأديان، في مؤتمر مكة، ومدريد، والأمم المتحدة، وذلك اعترافاً بحق الإنسان في الاختيار بين الأديان في دار الاختبار، ولكن ليس الاعتقاد في تساوي الأديان عند الله .

ويلاحظ على الأسلوب النبوي في حواراه مع من يأتيه مستفسراً عن الإسلام

استعمال الإجابات المختصرة المباشرة التي ترغّب في الإسلام، والتركيز على مسألة التوحيد وما تدعو إليه الفطرة من أخلاق نبيلة، ومن الأمثلة على ذلك النصوص الآتية:

في الحوار التالي يظهر الحلم النبوي جلياً، حيث يتأدب مع المحاور الآخر الخشن في أسلوبه (زعم لنا أنك تزعم...) ثم تأتي الإجابات المباشرة المختصرة التي تفي بالغرض، هذا، في الوقت الذي يفرح فيه بعضنا بمثل هذه التساؤلات ليعدها فرصة سانحة لاستعراض معلوماته ولإظهار البراعة في الحديث.

يقول أنس بن مالك: جاء رجلٌ من أهل البادية فقال: يا محمد أتانا رسولك فرعّم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال صدق، قال: فمن خلق السماء؟ قال: الله، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: الله، قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: الله، قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال: الله أرسلك؟ قال: نعم، قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا، قال: صدق، قال: فبالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا، قال: صدق، قال: فبالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا، قال: صدق، قال: فبالذي أرسلك، الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، قال: صدق، ثم ولى وقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم، لئن صدق ليدخلن الجنة^(١).

وقد يأتي الأسلوب النبوي مزيجاً من الأسلوب العاطفي والعقلي ليكون أكثر فاعلية في الترغيب في الإسلام، في النص التالي يأتي الأسلوب العاطفي في هيئة المناداة بالاسم، ثم يتلوه الأسلوب العقلي في هيئة استفهامات استفسارية تستدرج المحاور الآخر إلى الاعتراف بضرورة الاعتقاد برب واحد، إليه نرغب ومنه

نرهب، ثم يأتي الأسلوب العاطفي في هيئة المناداة بالاسم مرة أخرى، والترغيب في الإسلام بطريقة رقيقة تلميحية، إذ يعده بتعليمه شيئاً ينفعه إذا أسلم، والتلميح أكثر فاعلية؛ لأن كثيراً من الناس يرفض الأسلوب المباشر الذي يشعره بأن الداعية يجهُله أو يخطئه.

يقول عمران بن حصين: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي: يَا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا؟

قَالَ أَبِي: سَبْعَةٌ سَتَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، قَالَ: فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغَبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسَلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ، فَلَمَّا أَسَلَمَ حُصَيْنٌ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي، فَقَالَ: قُلِ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَأَعِزَّنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي^(١).

وفي القصة التالية يمزج النبي صلى الله عليه وسلم بين الإجابات المختصرة وتقديم ما يوافق عليه المخاور الآخر، مثل: صلة الأرحام، وذلك ترغيباً له، وليس إكراهه على ذلك؛ ثم يؤكد أهمية التوحيد بطريقتين (كسر الأوثان وألا يشرك بالله شيئاً)، وبدلاً من المبالغات التي يستخدمها المروجون لأفكارهم، يلتزم عليه الصلاة والسلام بالصدق والواقعية، في عدد من يتبعونه، بل ويعبر عن إشفاقه على أتباعه فينصح هذا الذي أسلم بالعودة إلى أهله حتى يظهر أمره ويعتز المسلمون. يقول عمرو بن عبسة السلمي كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ وَأَنْهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بَرَجِلَ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِياً جُرَاءً عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا نَبِيٌّ، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي اللَّهُ، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي بِصَلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوحِدَ اللَّهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْءٌ، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ حُرٌّ وَعَبْدٌ، وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ،

فَقُلْتُ: إِنَّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ؟ وَلَكِنْ أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَاتْنِي، قَالَ فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقَيْتَنِي بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ: بَلَى، يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلَهُ^(١).

ويظهر الأسلوب العاطفي في هيئة أخرى، مثل: الصبر والحلم على تهمة يوجهها إليه الكافر وهو يعبر عنها بصيغة المتأكد منها، ويبدو أن الأسلوب الذي اختاره النبي صلى الله عليه وسلم كان نابعاً من معرفته لشخصية محاوره، ومعرفته باهتمام أمثاله بالعبارات والألفاظ الجذابة، ولهذا بادره بعبارات قوية لفظاً ومعنى، تؤكد أن الحمد لله، وأن الهداية بيده سبحانه وتعالى، وأنه لا إله إلا هو وأن محمداً عبده ورسوله، فلم يملك الطرف الآخر إلا أن يعلن إسلامه.

يقول ابن عباس إن ضامداً قدم مكة وكان من أزد شنوءة وكان يرقى من هذه الرياح فسمع سفيهاً من أهل مكة يقولون إن محمداً مجنون، فقال لو أنني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، فلقيه فقال: يا محمد إنني أرقى من هذه الرياح، وإن الله يشفي على يدي من شاء فهل لك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد، فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ولقد بلغن ناعوس البحر، هات يدك أبايعك على الإسلام، فبايعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعلى قومك؟ قال: وعلى قومي^(١).

وفي النص التالي نجد أن بعض الناس تأبى نفوسهم قبول حتى الخير إن كان مرغماً عليه، ولكن يأسرهم المعروف ويقدرونه حق تقديره، وتظهر مراعاة الرسول صلى الله عليه وسلم لحرية الطرف الآخر مع حرصه على إسلامه جلياً، فيختار عليه الصلاة والسلام الإسلام المحتمل للطرف الثاني، بدلاً من أن يختار العوض المالي المضمون، أما قتل الكافر فلم يكن يوماً من الأيام هدفاً للإسلام وإنما هو إجراء اضطراري.

يقول أبو هريرة رضي الله عنه بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سوارى المسجد، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال ما عندك يا ثمامة؟ فقال عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد، ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ قال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكرك، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك، فقال: أطلقوا ثمامة، فأنطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر^(٢).

(١) مسلم: الجمعة رقم ١٤٣٦.

(٢) البخاري: الخصومات رقم ٤٠٢٤.

وهنا يحاول النبي صلى الله عليه وسلم إقناع عمه، الذي دافع عنه رغم اختلاف العقيدة بينهما، وإقناع قريش كذلك بأسلوب الترغيب والاستعطاف، فهو ييسر الأمر عليهم ولا يريد منهم سوى الإعلان عن كلمة واحدة، وذلك لقاء مكافأة موعودة عظيمة.

يقول ابن عباس مَرَضَ أَبُو طَالِبٍ فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ وَجَاءَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَ أَبِي طَالِبٍ مَجْلِسُ رَجُلٍ فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ كَيْ يَمْنَعَهُ وَشَكَوَهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَا تُرِيدُ مِنْ قَوْمِكَ؟ قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ وَتُوَدِّي إِلَيْهِمُ الْعَجَمَ الْجَزِيَّةَ، قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً؟ قَالَ: كَلِمَةً وَاحِدَةً، قَالَ: يَا عَمُّ قَوْلُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالُوا: إِلَيْهَا وَاحِدًا مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ، فَنَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ {ص وَالْقُرْآنُ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ} إِلَى قَوْلِهِ: {مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ} (١).

وفي النص التالي يغضب الرسول صلى الله عليه وسلم بشدة للاعتداء على الذمي ولتفضيل نبي على آخر، وذلك بعكس ما نتوقع في ضوء الاعتقاد بأن أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو العداوة والبغضاء والقتال، وعبر عن غضبه بما ظهر على وجهه عليه الصلاة والسلام من علامات رآها الآخرون وفهموها، يقول أبو هريرة رضي الله عنه بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْزِضُ سَلْعَتَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ فَقَالَ لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ وَقَالَ تَقُولُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَبَا الْقَاسِمِ إِنْ لِي ذِمَّةٌ وَعَهْدًا فَمَا بَالُ فُلَانٍ لَطَمَ وَجْهِي؟ فَقَالَ: لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟، فَذَكَرَهُ، (بين سبب لطمه اليهودي)، فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا تَفْضُلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيُصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى أَخَذَ بِالْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَحْوَسَبَ بِصَعْفَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَمْ بُعِثَ قَبْلِي، وَلَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلَ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى» (٢).

وفي النص التالي يظهر صبر النبي صلى الله عليه وسلم ودماثة خلقه جلياً، حيث لا يمانع في أن يكون موضع اختبار ما دام هناك احتمال في أن يؤدي ذلك إلى إقناع محاوره بالإسلام، وألا يعقب على كل ما يقوله الطرف الآخر من الكلام المرفوض، فلعله يستأنس بالحوار ويكون أكثر استعداداً لقبول الحق، فكانت النتيجة إسلام عبد الله بن سلام، وليس هذا فحسب، ولكن مساعدته في الكشف عن حقيقة غالبية اليهود في المدينة.

يقول أنس رضي الله عنه بلغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزَعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزَعُ إِلَى أَحْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: خَبَّرْتَنِي بِهِنَّ أَنْفَا جِبْرِيلَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرِيزَةٌ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَآؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ وَإِذَا سَبَقَ مَآؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، (ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بِهِتٌ إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بِهِتُونِي عِنْدَكَ) فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ النَّبِيَّتَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟ قَالُوا: أَعْلَمْنَا وَابْنُ أَعْلَمْنَا وَأَخِيرْنَا وَابْنُ أَخِيرْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ؟ قَالُوا: أَعَادَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ

الله، فقالوا: شَرْنَا وَابْنُ شَرْنَا وَوَقَعُوا فِيهِ»^(١).

وتظهر صورة احترام حرية الآخرين جلية حين يُسأل الإنسان عن شيء لا يعرفه فيصرح بعدم المعرفة، وذلك بدلاً من التكلف أو الانتقام لإحراج الآخر له، وهذا لا يمنع من اتخاذ الحذر اللازم في رفض أو قبول المعلومة في الغيبيات التي تأتيه من المحاور الآخر، لاسيما إذا كان معادياً، وهذا السلوك النبوي يرد على من يقول بأن كل الأفكار التي تأتينا من الكافرين مرفوضة، وأن مطابقتها بعض أفكار المسلم لها دليل على فساد فكر المسلم، فالحكم دائماً هو الأدلة الشرعية والخبرة المتمرسه في الأمور التي سكتت عنها النصوص.

يقول ابن أبي نَمَلَةَ الأَنْصَارِيُّ عَنْ أَبِيهِ إِنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ مَرَّ بِجَنَازَةٍ، فَقَالَ الْيَهُودِي: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَتَكَلَّمُ هَذِهِ الْجَنَازَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنِّهَا تَتَكَلَّمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكذِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ فَإِنْ كَانَ بَاطِلاً لَمْ تُصَدِّقُوهُ وَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكذِّبُوهُ»^(١).

وقبول التحدي الثقافي من الكافر دليل على حرية التدين، وفي النص التالي نجد النبي صلى الله عليه وسلم يستخدم التقريع بأسلوب مؤدب للمحاور الذي لا يهدف من أسئلته إلا التحدي، وليس للوصول إلى الحق والاستفادة من الإجابات عنها، كما يستخدم فيه النبي صلى الله عليه وسلم الأسلوب العاطفي، حيث ينتصر للكافر المعادي، بيد أن بعض الناس لا يجدي معهم الإنصاف.

يقول ثَوْبَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ (فَدَفَعْتَهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ

الله؟ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟ قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنِي، فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعُودٍ مَعَهُ، فَقَالَ: سَلْ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيَنْ يَكُونُ النَّاسُ (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ)؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ، قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَارَةٌ؟ قَالَ: فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: زِيَادَةُ كَبَدِ النَّوْنِ، قَالَ: فَمَا غَذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا، قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: مَنْ عَيْنَ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ يَنْفَعُكَ: إِنْ حَدَّثْتُكَ؟ قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنِي، وَقَالَ جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ، قَالَ: مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضٌ وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرٌ، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِيَّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرًا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيَّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آتَشَا بِإِذْنِ اللَّهِ، قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ ثُمَّ أَنْصَرَفَ فَذَهَبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَانِي اللَّهُ بِهِ»^(١).

وأين هذا الاعتراف من نسبة الفضل إلى الذات، ولا سيما إذا كان الإنسان أمام الجمهور؟

ويبلغ احترام حرية الفرد إلى درجة العفو عن الإساءة، ما لم تدعُ الضرورة إلى الحزم لإحقاق الحق، فالأصل كما يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم هو السيطرة على المشاعر في مواقف الغضب، ويستنكر الرد العادل من أم المؤمنين على وقاحة أولئك اليهود، ويرقق استنكاره عليها بمناداتها باسمها، ثم بالكشف لها عن

الحقيقة التي غابت عنها بسبب غضبها، فالمطلوب يمكن الوصول إليه بلطف، ولا يحتاج إلى مبارزة بالعبارات العنيفة.

تقول عائشة رضي الله عنها: إِنَّ الْيَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، (أي: عليكم الموت)، قَالَ: وَعَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: السَّامُ عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ أَوْ الْفُحْشَ، قَالَتْ: أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَيَسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ^(١).

وجدير بالإشارة هنا أن المسلمين كانوا يعيشون مع أقاربهم الكافرين في بيت واحد، والجيران في شارع واحد، ويلتقي سكان المدينة من مسلمين ويهود ومشركين في الأسواق بصورة متكررة، وكان من الطبيعي أن يتبادلوا التحية والسلام، وثبت أن النبي عليه الصلاة والسلام، سلم على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين واليهود^(٢) كما أنه من المشروع السلام على أهل البيت^(٣) وقد تكون زوجة المسلم كتابية.

كما ثبت أن بعض الصحابة، حتى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يسلمون على من يلقونهم، مهما اختلفت دياناتهم، ومن هؤلاء ابن عباس، وأبو أمامة الباهلي، وابن مسعود، وأبو الدرداء^(٤) وأما حديث أبي هريرة الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: لا تَبْدُؤُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ^(٥) فقد قاله النبي صلى الله عليه وسلم

(١) البخاري: الدعوات رقم ٥٩٢٢.

(٢) مسلم: السلام رقم ٢١٦٧، المسقلاني ج ١١: ٤١-٤٢؛ ابن القيم، زاد ج ٢: ٤٢٤-٤٢٦.

(٣) النور: ٦١؛ الترمذي: الاستئذان رقم ٢٦٩٨، الأحمدي: ٧: ٢٩٧، حسن صحيح غريب.

(٤) كتاب الأدب، ابتداء أهل الشرك بالسلام رقم ١٢٢-١٢٥؛ ابن أبي شيبة، مصنف رقم ٢٥٧٥٢؛ ابن القيم، زاد ج ٢: ٤٢٤.

(٥) مسلم: السلام، رقم ٢١٦٧.

عندما كان ذاهباً لمعاقبة بني النضير على خيانتهم العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين^(١).

ويظهر الاعتراف بحق الآخرين في أوضح صورته عندما يستخدم الطرف الآخر وسائل إجرامية، مثل : وضع السم للنبي صلى الله عليه وسلم بحجة اختبار نبوته، ومع هذا لم تتجاوز ردة الفعل إثبات كذب ادعاءاتهم وكشف حقيقتهم بطريقة حازمة صريحة، ولو استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم طريقة النظم الديمقراطية اليوم، في تعاملها مع المسلمين، من غير مواطنيهم، لما تجرأت اليهود على التعبير عن أحقادهم بتلك الصراحة.

يقول أبو هريرة رضي الله عنه : لما فتحت خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعوا إلي من كان هاهنا من يهود فجمعوا له، فقال : إنني سألتكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟ فقالوا : نعم، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : من أبوكم؟ قالوا : فلان، فقال : كذبتُم ، بل أبوكم فلان، قالوا : صدقت، قال : فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفت في أبنينا، فقال لهم : من أهل النار؟ قالوا : نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : احسبوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً، ثم قال : هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم، قال : هل جعلتُم في هذه الشاة سمًا؟ قالوا : نعم، قال : ما حملكم على ذلك؟ قالوا : أردنا إن كنت كاذباً نستريح، وإن كنت نبياً لم يضرنا^(٢).

بعض الكافرين يصلون إلى درجة من الجهل والمكابرة تقتضي من الحوار الحكيم

(١) صيني، الخطاب الإسلامي للتفاصيل.

(٢) البخاري: المغازي رقم ٢٩٣٣.

الترفع عن محاورتهم، ولكن لا يمنع هذا من مراعاة النبي عليه الصلاة والسلام
حريته في الاختيار بين الحق والباطل؛ فلم يقتله واقتصر على رفض عرضه رفضاً
حازماً، وبأسلوب مماثل مبني على الصورة الافتراضية «إن جعل لي محمد...»
ويقابله: «لو سألتني هذه القطعة...» فيعبر ببلاغة عالية عن تحقير شأن الحوار
الجاهل المكابر. ويزيده على ذلك أن يترك أحد أتباعه يرد عليه.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنَّ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ،
وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ
ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِطْعَةٌ جَرِيدٍ حَتَّى
وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ
تَعُدُّوْا أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ وَلَكِنْ أَدْبَرْتَ لِبَعْقَرِنِكَ اللَّهُ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا رَأَيْتُ،
وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا رَأَيْتُ، فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سَوَارِينَ مِنْ
ذَهَبٍ فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا فَأَوْحَى إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا فَأَوْلَتْهُمَا
كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي أَحَدُهُمَا الْعَنَسِيُّ وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ^(١).

ويطلب أحد الصحابة الدعاء على بعض الكافرين فيكون السكوت أكثر بلاغة من
التعليق، فالقضية لا تخضع للحلال والحرام، ولكنها تتعلق بالاختلاف الشديد
في بعض المبادئ المهمة، بيد أنه مع الإلحاح الشديد للطرف الآخر قد يكون رد
الفعل المعاكس للطلب أكثر بلاغة، أي: الدعاء لهم بالهداية، فأين هذا ممن يدعو
على جميع الكفرة بلا استثناء؟ والأصل أن ندعو لهم بالهداية ما داموا على قيد
الحياة، وأن يكفي الله الخلق من شرورهم عاجلاً وإلى الأبد.

فَقَالَ سُهَيْلٌ وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا (قَالَ الْمُسْلِمُونَ : سُبْحَانَ اللَّهِ كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قَيْودِهِ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ) فَقَالَ سُهَيْلٌ : هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُفَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ إِذَا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَأَجِرْهُ لِي ، قَالَ : مَا أَنَا بِمُجِيرِهِ لَكَ ، قَالَ : بَلَى فَاَفْعَلْ ، قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ (١) .

حرية اختيار الدرجات :

من حكمة الله أن منح الإنسان فرصة للتنافس في فعل الخيرات أو الشرور، وذلك ليحصل كل مخلوق على الدرجة التي يستحقها من المكافأة أو العقوبة، وليكون هناك تكامل في المجتمعات، يخدم الأفراد فيها بعضهم بعضاً، ومن حق الإنسان التضحية بماله ووقته وجهده سعياً إلى الأفضل، ولكن ليس من حقه إجبار الآخرين على ذلك، ويدرك النبي صلى الله عليه وسلم أن هناك فرضاً وهناك نافلة، فلا يتشدد في النوافل تشديده في الفرائض، ويترك أمر النوافل إلى حرية المسلم في الاختيار .

يقول عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامَ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَلَا تُصَلُّونَ ؟ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثْنَا ، فَأَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالَ لَهُ ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ شَيْئًا ثُمَّ سَمِعَهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ يَضْرِبُ فَعِذَهُ وَهُوَ يَقُولُ : { وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا } (٢) .

(١) البخاري: الجزية والموادعة رقم ٢٥٢٩ .

(٢) الكهف الآية (٥٤) .

حرية المراجعة:

من المؤكد أن ظاهرة مراجعة غير المسلمين في الحوارات النبوية ليست مستغربة ولا نحتاج إلى الوقوف عندها، بيد أن مسألة مراجعة المسلمين لربهم عزَّ وجلَّ ولرسوله صلى الله عليه وسلم والسماح لهم بذلك تستحق وقفة^(١) ومن زاوية أخرى، فإن الحكيم لا يستغرب ذلك؛ لأن الله سبحانه وتعالى يعلم عباده درساً مهماً؛ وهو أن ظاهرة المراجعة على قرارات صاحب السلطة وسلوكه، وحرية التعبير حين تسود في الأمة تعني وجود خط ساخن بين القائد والأمة، والمعلم وطلبته، ورب الأسرة وأفراد الأسرة أو المسؤول عموماً ومن له عليهم نوع من السلطة، وهذه المراجعة لا تنتعش إلا إذا توافرت لها ظروف لا تقتصر على السماح بمجرد الكلام، ولكن بتوافر الأمن من العقوبة، بل الأمن حتى من التوبيخ أو التهديد المبطن، ما دام التعبير لا يتجاوز حدود الألفاظ والتعبيرات السلمية ولا يهدد مصالح الأمة. ومن دون هذا النوع من العلاقة، فإن جرائم الفساد والانحراف ستجد مرتعاً خصباً في الظلام فتنمو، وتنمو، حتى يستشري أمرها وتصبح خطيرة، ويصعب علاجها أو التصدي لها، عند اكتشافها، ومن دون هذا الخط الساخن بين الراعي، أيًّا كان الراعي، ورعيته ينقطع حبل الاتصال، فيجهل كلُّ منهما الآخر، بل وتنعدم الثقة وتحل محلها إساءة الظن، ويطغى العنف على أسلوب التعامل.

مراجعة على خبر:

وفي النصوص التالية هناك مجموعة من المراجعات على ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم من الذكر الحكيم، ثم ينزل من رب العالمين فيه استثناءات أو يبين النبي صلى الله عليه وسلم مدلولاته الحقيقية، من دون تعنيف أو توبيخ. هنا، يتجلى لطف وحلم رباني منقطع النظير يُعبّر عنه الرسول صلى الله عليه

(٢) ومثاله: لما نزلت: «...وَأَنْ تَبُدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوا بِحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ...» اشتد ذلك على الصحابة فأتوا رسول الله، ثم بركوا على الركب، وقالوا: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ كَلَّمْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نَطِيقُ... وَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيْنَا هَذِهِ الْأَيَّةَ وَلَا نَطِيقُهَا (مسلم: الإيمان رقم ١٧٩)

وسلم تجاه احتجاج صارخ على الفقر الذي كان المسلمون يعيشونه، حيث يقتصر على التبشير بتحسين الأحوال مستقبلاً، وذلك بدلاً من التوبيخ على الاعتراض، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ {ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}، قَالَ الزُّبَيْرُ: وَأَيُّ نَعِيمٍ نُسْأَلُ عَنْهُ، وَإِنَّمَا هُوَ الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ؟ قَالَ أَمَّا إِنَّهُ سَيَكُونُ^(١).

وفي النصين التاليين يظهر جلياً كيف كان يُوفَّرُ نبيُّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم البيئة الأخوية بينه وبين أتباعه بحيث يراجعونه، من دون حذر، في المعلومات التي ينقلها إليهم، فهنا يسألونه ليعرفوا، ثم يراجعونه إذا أخبرهم، ومع هذا لا يغضب، ولكنه يُعقَّب على مراجعتهم بهدوء، إما بالتوضيح كما في النص الأول، وإما بالاستفهام ليؤكد أن الأمر كله بيد الله في نهاية المطاف، كما في النص الثاني.

قالت عائشة رضي الله عنها: سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسٌ عَنِ الْكُهَّانِ، فَقَالَ: لَيْسُوا بِشَيْءٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِشَيْءٍ فَيَكُونُ حَقًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطِفُهَا مِنَ الْجِنِّيِّ فَيَقْرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ^(١).

ويقول أبو هريرة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا عَدَوِي وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الطُّبَاءُ فَيَجِيءُ الْبَعِيرُ الْأَجْرُبُ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَجْرِبُهَا كُلَّهَا؟ قَالَ: فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلُ؟^(٢)، وامرأة تراجع زوجها النبي صلى الله عليه وسلم في معلومة هو مصدرها ويحاول تنبيهها إلى خطأ فهمها، فلا تنتبه، ولكن تصر وتورد دليلها، فيقتصر على أن يورد الدليل الذي يثبت خطأ فهمها دون زيادة.

(١) ابن ماجة: الزهد رقم ٤١٤٨.

(٢) البخاري: الطب رقم ٥٢٢٠.

تقول أم مبشر إنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند حفصة، يقول: لا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها، فقالت حفصة: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: {وإن منكم إلا وادها}، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد قال الله عز وجل: {ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًا} (١).

ويقول عبد الله: لما نزلت: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك علي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أيينا لا يظلم نفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) (٢).

ويقول أبو بكر الصديق: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزلت عليه هذه الآية: {من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً}، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت علي، قلت: بلى، يا رسول الله، فأقرانيها فلا أعلم إلا أنني قد كنت وجدت انقصاصاً في ظهري فتمطأت لها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما شأنك يا أبا بكر؟ قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي وأيئنا لم يعمل سوءاً وإنا لمجزون بما عملنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أنت يا أبا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس لكم ذنوب، وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة (٣).

وفي هذا المثال نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يعمل على إقناع أصحابه بالتسليم لله، ويضرب لهم مثلاً من الماضي يشبه موقفهم مما ترفضه الفطرة، ثم يأتي الوحي بالاستجابة لمطالبهم بعد أن سلّموا وأطاعوا.

(٢) مسلم: السلام رقم ٤١١٦.

(٣) أحمد: القبائل رقم ٢٦٠٩٦.

(٤) مسلم الإيمان رقم ١٧٨.

يقول أبو هريرة: لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير}، قال فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيع: الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقتراها القوم ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: {أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير}، فلما فعلوا ذلك، نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل: {لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا} (١).

وتعبر أم المؤمنين عن استغرابها فيقتصر على بيان السبب.

تقول زينب بنت جحش رضي الله عنها: إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فرعاً: يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرٍ قد اقترب، ففتح اليوم من ردم بأجوج ومأجوج مثل هذه، وخلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث (٢).

وهنا يستغرب الصحابي فيكون الظرف مناسباً، حيث يكون الجمع كبيراً مثلاً والسؤال مهماً فيرى الرسول صلى الله عليه وسلم أنها فرصة مناسبة للوعظ والتذكير.

وهنا يأتي الاستفهام الاستفساري المدعم بالدليل العقلي ليجيب عن سؤال

(١) مسلم: الإيمان رقم ١٧٩.

(٢) البخاري: حديث الأنبياء رقم ٣٠٩٧.

يتعجب فيه المسلم من خبر لم يألف له شبيهاً في هذه الحياة الدنيا، ناسياً أن الحياة الآخرة تختلف عن الحياة الدنيا في كثير من الأمور، وأن الله على كل شيء قدير، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه إن رجلاً، قال: يا نبي الله يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة،؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟»^(١).

ويندهش الصحابي الجليل، من عدم نزع النبي صلى الله عليه وسلم خفيه وعدم غسل رجليه في المرة الثانية، ناسياً سنة المسح على الخفين، فيذكره النبي صلى الله عليه وسلم بأسلوب يخالطه شيء من الدعابة.

يقول المغيرة بن شعبه إنه سافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وادياً فقصى حاجته ثم خرج فاتاه فتوضأ فخلع خفيه، فتوضأ فلما فرغ وجد ريحاً بعد ذلك فعاد فخرج فتوضأ ومسح على خفيه، فقلت يا نبي الله: نسيت لم تخلع الخفين، قال: كلا بل أنت نسيت بهذا أمرني ربي عز وجل»^(٢).

تنبيه:

قد يتصور أحدنا، قياساً على مستوانا البشري، بأن الله سبحانه وتعالى يُغيّر حكمه من وقت إلى آخر، وفي هذا التصور خطأ عظيم، فالله سبحانه وتعالى لا يخطئ فيصح خطأه، أو تغيب عنه أشياء يكتشفها لاحقاً، فعلم الله محيط بكل شيء، ولا يقيدده عامل الزمان أو المكان أو أي نوع من القيود التي تُقيّد علم المخلوقات، ومنهم البشر، وما يظهر بأنه نسخ لنا أو تغيير فإنه بالنسبة إلى الشارع الحكيم هو نوع من التدرج في تعليم عباده، وهي دروس للمصلحين من عباده، فلا يتعجلوا النتائج، ولا يتسرعوا في خطوات الإصلاح، بحيث يرتطم الإصلاح

(١) البخاري: تفسير رقم ٤٣٨٨.

(٢) أحمد: الكوفيون رقم ١٧٤٤٣.

بالواقع فتأتي النتائج عكسية، فعلى المصلح الحصيف التعرف إلى الواقع، ثم التدرج في الإصلاح، في ضوء ذلك الواقع، ولهذا ينبغي فهم النصوص التالية ومثيلاتها في ظل هذه الحقيقة.

يقول زيد بن ثابت: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَلَى عَلَيْهِ: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}، وَ{الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...} فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمْلِئُهَا عَلَيَّ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيَّ رَسُولِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... {غَيْرُ أَوْلِي الضَّرْرِ} (١).

وفي هذا النص يبدو أن الصحابي كان يطلب استثناء في أمر خطير فكانت الإجابة حازمة، وذلك باستخدام الاستعارة لتجسيد خطورة المخالفة وللقطع في مسألة تهاون الناس فيها دون التهجم عليهم.

يقول عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالذُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمُو؟ قَالَ: «الْحَمُوُ الْمَوْتُ» (٢).

ويتردد الصحابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم مرتين في تحديد وقت إفطار الصائم، وهو المشرع فلا يزيد أن يعزم عليه بقوله: انزل فأجدح لي، ثم بين له وقت إفطار الصائم في الشرع.

يقول ابن أبي أوفى رضي الله عنه: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَقَالَ لِرَجُلٍ: انزل فأجدح لي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: الشَّمْسُ، قَالَ: انزل فأجدح لي، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: الشَّمْسُ، قَالَ: انزل فأجدح لي، فَنَزَلَ فَجَدَحَ لَهُ فَشَرِبَ، ثُمَّ رَمَى بِيَدِهِ هَا هُنَا، ثُمَّ قَالَ إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ أَقْبَلَ مِنْ هَا هُنَا فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمِ، (١)،

(١) البخاري: الجهاد رقم ٢٦٢٠.

(٢) البخاري: النكاح رقم ٤٨٣١.

وهنا أيضاً يرفض الرجل الحل الميسر الذي يقدمه النبي عليه الصلاة والسلام للوفاء بنذره، فيتركه لاختياره دون تعنيف، ما دام هناك سعة في الأمر.

يقول جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ: صَلِّ هَا هُنَا، فَأَعَادَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَأْنُكَ إِذْنٌ^(٢).

ويصر صحابي على رأيه في أمر من أمور العبادة، رغم توجيه النبي صلى الله عليه وسلم له مرات، فلا يوبخه، ولا يزيد على قوله، في المرة الثانية أو الثالثة، «ويلك» اركبها.

يقول أَبُو هُرَيْرَةَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَسُوقُ بَدَنَةً، فَقَالَ: ارْكَبْهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهَا بَدَنَةٌ، فَقَالَ: ارْكَبْهَا وَيْلَكَ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ الثَّلَاثَةِ^(٣) وهنا يدعو النبي صلى الله عليه وسلم أحد أتباعه إلى الطعام فيرفض محتجاً بصومه - ربما تطوعاً - ويرفض مشاركته فلا يعنفه، وإنما يقتصر على تعليمه ما يلزمه من أمور دينه.

وإذا كان التحريم صريحاً فإن العبارات القصيرة الحازمة تكفي من المشرع عادة، ولكن المشرع قد يتلطف فيدعمها بمثال من الماضي يجسد التحريم بوضوح أكثر، يقول جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخَنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ سُحُومَ الْمَيْتَةِ، فَإِنَّهُ يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ، فَقَالَ: لَا هُوَ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ، قَاتَلَ اللَّهُ

(١) البخاري: الصوم رقم ١٨٠٥.

(٢) الدارمي: التذوق والإيمان رقم ٢٢٣٤.

(٣) مالك: المدنيين رقم ٧٤٣.

اليهود، إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا أَجْمَلُوهُ ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ»^(١) وسأل أَبُو طَلْحَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَيْتَامٍ وَرَثُوا حَمْرًا. فَقَالَ: أَهْرِقْهَا. قَالَ: أَفَلَا نَجْعَلُهَا خَلًا؟ قَالَ: لَا»^(٢).

ومع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان صاحب سلطة تشريعية وتنفيذية، فإنه في هذا النص لا يتجاوز تبليغ الطرف الآخر الحكم في المسألة المعروضة حتى مع إلحاح الطرف الثاني، وكان في إمكانه استخدام صيغة النهي المباشرة، ولكن بدلاً من ذلك يقبل المناقشة، ويحاول إقناع الطرف الآخر بالأدلة العقلية، مثل المقارنة بين وضع المرأة قبل الإسلام وبعد الإسلام.

تقول أُمُّ سَلَمَةَ جَاءَتْ امْرَأَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ ابْنَتِي تُوفِّي عَنْهَا زَوْجَهَا وَقَدْ اشْتَكَّتْ عَيْنَهَا أَفْتَكْحُلُهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: لَا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٌ وَعَشْرٌ، وَقَدْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ، (قَالَ حَمِيدٌ فَقُلْتُ لَزَيْنَبَ وَمَا تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ؟ فَقَالَتْ زَيْنَبُ كَانَتْ الْمَرْأَةُ إِذَا تُوفِّيَتْ عَنْهَا زَوْجُهَا دَخَلَتْ حَفْشًا وَلَبَسَتْ شَرَّ ثِيَابِهَا وَلَمْ تَمَسَّ طَبِيبًا حَتَّى تَمُرَّ بِهَا سَنَةٌ ثُمَّ تُؤْتَى بِدَابَّةٍ حَمَارٍ أَوْ شَاةٍ أَوْ طَائِرٍ فَتَفْتَضُّ بِهِ فَقَلَمًا تَفْتَضُّ بِشَيْءٍ إِلَّا مَاتَ ثُمَّ تَخْرُجُ فَتُعْطَى بَعْرَةً فَتَرْمِي ثُمَّ تُرَاجِعُ بَعْدَ مَا شَاءَتْ مِنْ طَبِيبٍ أَوْ غَيْرِهِ سِئَلِ مَالِكٌ مَا تَفْتَضُّ بِهِ قَالَ تَمْسَحُ بِهِ جِلْدَهَا)،^(٣)

وهنا يعلق الرسول صلى الله عليه وسلم بوصفه المشرع على التحذير بجملة ليس فيها تهمة للطرف الآخر، ولكن بجملة إخبارية قصيرة يندرج فيها السبب في كون اعتقاد الطرف الآخر غير صحيح، فيتجنب بذلك جرح شعور من يريد التفضل عليه بتحذيره من الماء.

(١) أبو داود: البيوع ٣٠٢٥.

(٢) أحمد: باقي المكثرين رقم ١١٧٤٤.

(٣) البخاري: الطلاق رقم ٤٩٢٠.

يقول سلمة بن المحبق: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَتَى عَلَى بَيْتٍ فَإِذَا قَرْبَةٌ مُعَلَّقَةٌ، فَسَأَلَ الْمَاءَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا مَيْتَةٌ، فَقَالَ: دَبَّاعُهَا طَهَّرُهَا. ^(١)

قد تضع إحدى الجهات المسؤولة نظاماً أو يتخذ أحد المسؤولين قراراً في أمور مباحة، وينبه إلى قلة جدواه، فيصعب عليه تغييره، أما الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه يسارع إلى التغيير، بكل بساطة، ما دام في الأمر فسحة ويلبي حاجة الناس.

مراجعة على قرار أو فعل:

من المعلوم أن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم يعد تشريعاً واجب التنفيذ، سواء أكان على الفور أم على التراخي، ومع هذا نجد النبي صلى الله عليه وسلم يتقبل المراجعة، بل وتجاوباً منه يقدم البديل.

يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطَّرِيقَاتِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدِّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ: إِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ^(٢).

ولا جدال في أن تقدير النبي صلى الله عليه وسلم لمن يتعامل معهم لفترة طويلة لا يخطئ، وأن إنصافه لا يبارى، بيد أن هناك احتجاجاً على ثنائه المنصف لبعض المسلمين، والمحتج هنا هو سيد قومه، وهنا تظهر حكمة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يؤكد ثنائه السابق مع إبراز الجانب الإيجابي لثنائه الأول بالنسبة

(١) أبو داود: اللباس رقم ٢٥٩٦.

(٢) البخاري: الاستئذان رقم ٥٧٦١.

إلى المحتج، وذلك بتنبهه إلى الكثيرين الذين لم يلحقهم شيء من ذلك الثناء، في حين كان للمحتج نصيب منه، وبعبارة أخرى، يستخدم عليه الصلاة والسلام المقارنة والنسبية ليقنع المحتج.

يروى أبو حميد أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: إِنَّ خَيْرَ دُورِ الْأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ ثُمَّ عَبْدُ الْأَشْهَلِ ثُمَّ دَارُ بَنِي الْحَارِثِ ثُمَّ بَنِي سَاعِدَةَ وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ، فَلَحِقْنَا سَعْدُ بْنُ عَبَّادَةَ فَقَالَ: أَبَا أُسَيْدٍ أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ الْأَنْصَارِ فَجَعَلْنَا آخِرًا فَأَدْرَكَ سَعْدُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: خَيْرَ دُورِ الْأَنْصَارِ فَجَعَلْنَا آخِرًا، فَقَالَ: أَوْ لَيْسَ بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْخِيَارِ»^(١).

أما هنا فاحتجاج لعدم مساواتهم بأخرين هم بمنزلة واحدة من زاوية واحدة، ولكن هناك اعتبارات أخرى وراثية أو مكتسبة، تميز بينهم ولا ينبغي إغفالها، فلم يزد النبي صلى الله عليه وسلم على أن نبه إليها.^(٢)

في الحوار التالي يتبين لنا بصورة جلية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاطب العقل والقلب والوجدان في الإنسان يقول عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ: لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَالًّا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَّنْ، قَالَ: وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ بِي؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَّنْ، وَعَالَةَ فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَّنْ، قَالَ: مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالُوا: بِمَاذَا نَجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا (فلصدقتم ولصدقتم: أتيتنا مكذبا فصدقتنا، ومخذولا فنصرناك، وطريداً فأزرناك، وعائلاً فأسيناك)،

(١) البخاري: المناقب رقم ٣٥٠٧.

(٢) فمثلاً عندما قاطعت قريش أبا طالب لدفاعه عن الرسول صلى الله عليه وسلم إنحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب.

(ابن هشام ج٢: ٣).

أَتَرَضُونَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَحَالِكُمْ؟ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَاذِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكَتُ وَاذِي الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِتَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْخَوْضِ.»^(١)

وقد يفعل رسول الله عليه الصلاة والسلام شيئاً فلا يجد الطرف الآخر حرجاً في عتابه في ذلك، ثم لا يقتصر الأمر على أن يتقبل النبي صلى الله عليه وسلم هذا النقد، بل يصرح بما يؤيده مع بيان السبب الذي جعله يفعل عكسه، وفي النصوص التالية أمثلة لذلك .

ففي هذا المثال يوجه النبي عليه الصلاة والسلام الخطاب إلى الحاضرين بدلاً من توجيهه إلى شخص بعينه، فالفرصة متاحة للإنكار بطريقة غير مباشرة وبأدب على المشعين ليتراجعوا عن الجشع، وللثناء على القانعين تشجيعاً لهم .

يقول عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بِمَالٍ أَوْ سَبِيٍّ، فَقَسَمَهُ فَأَعْطَى رَجُلًا وَتَرَكَ رَجُلًا، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمَدَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدْعُ الرَّجُلَ وَالَّذِي أَدْعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لَمَّا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجُرْعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ، فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُمْرَ النَّعَمِ»^(٢).

ورغم كون الاحتجاج التالي مشابهاً في مضمونه للسابق فإنه يختلف عنه من حيث السياق والأسلوب كلية، لهذا كان يستوجب رداً حازماً من النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ضرورة الحزم فإنه كعادته عليه الصلاة والسلام لم يهاجم من اتهمه بالجور، ولكن هاجم صورة افتراضية تنطلق من تهمة الطرف الآخر، حيث قال: «... خِبت وخسرتُ إن لم أعدل» .

(١) البخاري: المغازي رقم ٣٩٨٥.

(٢) البخاري: الجمعة رقم ٨٧١.

يقول أبو سعيد الخدری : بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا، أَنَّهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اْعْدِلْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ اْعْدِلْ؟ قَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ اْعْدِلْ. »

ويستنكر عمر رضي الله عنه صلاة النبي صلى الله عليه وسلم على المرأة التي أذنبت فاستحقت الرجم، ويعبر بحرية عن هذا الاستنكار، فلا يزيد النبي صلى الله عليه وسلم على بيان السبب .

يقول عمران بن حصين : إِنْ أَمْرَاءَ مِنْ جُهَيْنَةَ اَعْتَرَفَتْ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَزْنًا وَقَالَتْ: أَنَا حُبْلَى، فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِيَّهَا فَقَالَ: أَحْسِنُ إِلَيْهَا فَإِذَا وَضَعْتَ فَأَخْبِرْنِي فَفَعَلَ فَأَمَرَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَكَتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا ثُمَّ أَمَرَ بِرَجْمِهَا فَرَجِمَتْ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا، فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجِمْتَهَا ثُمَّ تَصَلَّى عَلَيْهَا؟ فَقَالَ: لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قَسِمْتَ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسَعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟^(١)

ويمثل الحديث التالي القمة في احترام رغبات الآخرين، إن المحبة والكره، التي لا تهضم الحقوق المشروعة لشخص آخر هي، من الحقوق الشخصية، ولهذا تعامل معها النبي صلى الله عليه وسلم بما يعبر عن احترامه الكامل للحقوق الشخصية، مع محاولة التوسط لدى صاحبة القرار، بعيداً عن الإكراه، وذلك رحمة منه على الطرف الآخر في قضية الحب والكره.

يقول ابن عباس : إِنْ زَوْجٌ بَرِيرَةٌ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ: يَا عَبَّاسُ أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثِ بَرِيرَةَ وَمِنْ بَعْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا، فَقَالَ: لَهَا النَّبِيُّ

صلى الله عليه وسلم: لَوْ رَاجَعْتِيهِ فَإِنَّهُ أَبُو وَدَدِكَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَأْمُرُنِي؟ قَالَ: إِنَّمَا أَنَا شَفِيعٌ، قَالَتْ: فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ» (١).

وهنا يصدر النبي صلى الله عليه وسلم حكماً بوصفه يمثل أحد الأطراف فيرفض الطرف الآخر الحكم بإصرار، فيزيد لهم التعويض حتى يرضوا، وكان يملك الحق لأن يلزمهم بما حكم به؛ لأنه نبي لا يظلم، وهو ولي الأمر.

تقول عائشة: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ أَبَا جَهْمَ بْنَ حُذَيْفَةَ مُصَدِّقًا فَلَاجَهُ رَجُلٌ فِي صَدَقَتِهِ فَضْرَبَهُ أَبُو جَهْمَ فَشَجَّهُ فَأَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: الْقَوْدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَكُمْ كَذَا وَكَذَا، فلم يرضوا، فَقَالَ: لَكُمْ كَذَا وَكَذَا، فَلَمْ يَرْضُوا، فَقَالَ: لَكُمْ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي خَاطَبُ الْعَشِيَّةِ عَلَى النَّاسِ وَمُخْبِرُهُمْ بَرِّضَاكُمْ، فَقَالُوا: نَعَمْ، فَخَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ اللَّيْثِيَّيْنَ أَتَوْنِي يُرِيدُونَ الْقَوْدَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِمْ كَذَا وَكَذَا فَرَضُوا أَرْضِيْتُمْ؟ قَالُوا: لَا، فَهَمَّ الْمُهَاجِرُونَ بِهِمْ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكْفُوا عَنْهُمْ فَكَفُوا، ثُمَّ دَعَاهُمْ فَرَادَهُمْ فَقَالَ: أَرْضِيْتُمْ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: إِنِّي خَاطَبُ عَلَى النَّاسِ وَمُخْبِرُهُمْ بَرِّضَاكُمْ، قَالُوا: نَعَمْ، فَخَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَرْضِيْتُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ» (٢).

واعترض عمر على صلح الحديبية بشدة، فلم يتجاوز النبي صلى الله عليه وسلم توضيح الأسباب، يقول المسور بن مخرمة ومروان: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَمَنَ الْحَدَيْبِيَّةِ... وعندما وافق الرسول صلى الله عليه وسلم على شرط أن يسلم المسلمون إلى المشركين من يأتيهم مسلماً ولا يعيد المشركون إلى المسلمين من يأتيهم مرتداً، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) النسائي: آداب القضاء رقم ٥٢٢٢.

(٢) أبو داود: الدييات رقم ٣٩٣٠.

فَقُلْتُ: أَلَسْتُ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّنْيَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: إِنَّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي، قُلْتُ: أَوْ لَيْسَ كُنْتُ مُخَدِّثًا أَنَا سَنَاتِي الْبَيْتِ فَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمَطُوفٌ بِهِ^(١)، إن الطبيعة البشرية للرسول صلى الله عليه وسلم تظهر جليلة في النص التالي، حيث يؤرقه الشك في أحب زوجاته، بسبب ما أثاره الأعداء من شائعات، وتناقلها بعض المسلمين بسذاجة، بدلاً من الإنكار عليها، ومع هذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم بقي محتفظاً برباطة الجأش يسأل ويتحقق، ثم هو يعلن براءة أم المؤمنين، ولكن يصارحها بما تقوله الشائعات بصورة محايدة لا يقطع فيها ببراءتها، فلا تجد أم المؤمنين أمام هذا الموقف من نبي الله وأمام حيادية والديها إلا أن تلجأ إلى الله، عالم السر والنجوى، فيأتيها الفرج منه سبحانه وتعالى، فيبشرها الرسول صلى الله عليه وسلم بالبراءة، فبدلاً من أن تشكره تؤكد أن الله وحده هو الذي يستحق شكرها، ويعذرهما الرسول صلى الله عليه وسلم على موقفها هذا فلا يعلق عليه.

ولا يقف الأمر عند تقبل النبي صلى الله عليه وسلم للنقد، ولكن يؤكد أنه مستعد للتراجع عند تبينه الخطأ، وإن كان قد أقسم عليه، وهنا يزيل النبي صلى الله عليه وسلم الشعور بالذنب عند الطرف الآخر، ويعلمه القاعدة في تغيير الرأي وفضل تغيير الرأي إلى ما هو أفضل وإن أقسم على الرأي الأول مع ضرورة التحلل من حلفه، فالرجوع إلى الحق فضيلة وإن كان هو صاحب السلطة التنفيذية والتشريعية، وذلك بخلاف السائد بين عامة الناس.

يقول أبو موسى: جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهطٍ من الأشعريين نسيت حملهم، فقال: والله لا أحملكم وما عندي ما أحملكم عليه، فلبثنا ما شاء الله فأني رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهب إيل، فدعا بنا فأمر لنا بخمس ذود

عُرِّ الدُرَى، فَلَمَّا انْطَلَقْنَا قَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: أَغْفَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِينَهُ لَا يُبَارِكُ لَنَا فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا أَتَيْنَاكَ نَسْتَحْمِلُكَ وَإِنَّكَ حَلَفْتَ أَنْ لَا تَحْمِلَنَا ثُمَّ حَمَلْتَنَا أَفَنَسِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتَهَا، فَانْطَلِقُوا فَإِنَّمَا حَمَلَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. (١)

التبليغ بالإقناع:

مراعاة لحرية الفرد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على محاولة إقناع من يحاوره بإيراد بعض الأسباب، وهذا مع أنه إما مبلغ عن الله، وإما مشروع، وأين هذا من بعض من لديهم شيء من السلطة، يتسلطون بها على إخوتهم في الإنسانية، فيصدرون أوامر متشددة، وغير منطقية، ويفرضونها بالعنف على عباد الله؟ قد يلح بعضهم في المجادلة عن وجهة نظره، ولكن ليست هناك طريقة أنجح من أن تجعله يرد على رأيه بنفسه، وهنا تظهر براعة النبي صلى الله عليه وسلم في تجسيد الأمر المنبوذ برسوم صورة له، ترفضها الفطرة فوراً.

يقول عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي مَعَهَا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَأْذِنِ عَلَيْهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي خَادِمُهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَأْذِنِ عَلَيْهَا أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَاسْتَأْذِنِ عَلَيْهَا. (٢)

وهنا يحرص النبي صلى الله عليه وسلم على الإقناع فيبين للطرف الآخر السبب، وذلك بدلاً من الاقتصار على الأمر الصريح أو النهي الصريح. يقول هُزَيْلٌ: جَاءَ رَجُلٌ، فَوَقَفَ عَلَى بَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْذِنُ فَقَامَ

(١) مسلم: الأيمان رقم ٣١١١.

(٢) مالك: الجامع رقم ١٥١٩.

مُسْتَقْبَلِ الْبَابِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَكَذَا عَنْكَ أَوْ هَكَذَا فِيمَا
الْأَسْتَعْدَانُ مِنَ النَّظَرِ^(١)

ينبغي على ولي الأمر ألا يجامل في أمور المسلمين أو الأمور العامة من لا يعد
كفؤاً، ومن علامات عدم الكفاءة في الأمور المالية خاصة - عند النبي صلى الله
عليه وسلم - حرص الإنسان على الولاية فيها، ومع هذا فهو لا يجابه الطرف الآخر
برأيه، ولكن يصوغه في هيئة قاعدة عامة .

يقول أبو موسى الأشعري: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَرَجُلَانِ
مِنْ بَنِي عَمِّي، فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَرْنَا عَلَى بَعْضِ مَا وُلاكَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ، وَقَالَ الْآخَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُؤَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ
وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ^(٢)

ونلاحظ في النص التالي أن النبي صلى الله عليه وسلم يستمع بهدوء إلى دفاع
امرأة عن وجهة نظرها، ويناقشها ببيان السبب، ثم يقدم لها البديل لما أنكره
عليها .

تقول أم حكيم بنت أسيد عن أمها: إِنَّ زَوْجَهَا تُؤَفِّي وَكَانَتْ تَشْتَكِي عَيْنَهَا
فَتَكْتَحِلُ الْجَلَاءَ فَأَرْسَلَتْ مَوْلَاهُ لَهَا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَسَأَلَتْهَا عَنْ كُحْلِ الْجَلَاءِ، فَقَالَتْ:
لَا تَكْتَحِلُ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ، دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ
تُؤَفِّي أَبُو سَلَمَةَ، وَقَدْ جَعَلْتُ عَلَى عَيْنِي صَبْرًا، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا أُمَّ سَلَمَةَ؟ قُلْتُ:
إِنَّمَا هُوَ صَبْرٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ فِيهِ طَيْبٌ، قَالَ: إِنَّهُ يَشُبُّ الْوَجْهَ فَلَا تَجْعَلِيهِ إِلَّا بِاللَّيْلِ
وَلَا تَمْتَشِطِي بِالطَّيْبِ وَلَا بِالْحَنَاءِ فَإِنَّهُ خِضَابٌ، قُلْتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ أَمْتَشِطُ يَا رَسُولَ
اللَّهِ؟ قَالَ بِالسُّدْرِ تُغْلِفِينَ بِهِ رَأْسَكَ^(٣) .

(١) النسائي: الجنائز رقم ٢٠٦١ .

(٢) البخاري: الصوم رقم ١٨٠٠ .

(٣) أبو داود: الأدب رقم ٤٥٠٦ .

ويظهر صبر النبي صلى الله عليه وسلم وأناته جلياً في النص التالي، فهو يستخدم سلسلة من الاستفهامات التقريرية مع الشباب حسن النية ليستدرجه إلى تأييد حكم الإسلام في الزنا.

يقول أبو أمامة: إِنَّ فَتَى شَاباً أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنَاءِ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: ائْذَنهُ، فَدَنَا مِنْهُ فَجَلَسَ، قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأَمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، أَفَتُحِبُّهُ لِأَخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخْوَاتِهِمْ، أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ (١)، وفي الحوار التالي يستخدم النبي صلى الله عليه وسلم الأسلوب العملي مع بيان السبب، في إقناع المتسول بالتوقف عن إذلال نفسه بالتسول من الناس، ويحثه على كسب رزقه بالعمل الشريف، فالأسلوب العملي يجعل النصيحة أبلغ وأكثر رسوخاً فلا تُنسى.

يقول أنس بن مالك: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟ قَالَ: بَلَى، حَلَسْتُ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، قَالَ: ائْتِنِي بِهِمَا، قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ وَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟ قَالَ: رَجُلٌ أَنَا أَخَذَهُمَا بِدَرَاهِمٍ، قَالَ: مَنْ يَزِيدُ عَلَيَّ دَرَاهِمٍ؟ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا أَخَذَهُمَا بِدَرَاهِمَيْنِ،

فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدَّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ وَقَالَ: اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَأَنْبِذَهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأَتِنِي بِهِ، فَآتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُوْدًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَذْهَبَ فَاحْتَطَبْ وَبِعْ وَلَا أَرَيْتَكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطَبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بَعْضَهَا ثَوْبًا وَبَعْضَهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةَ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ: لِدِي فَقْرٍ مُدَقِّعٍ، أَوْ لِدِي غُرْمٍ مُفْطِعٍ، أَوْ لِدِي دَمٍ مُوجِعٍ،»^(١)

الترغيب والتيسير:

انطلاقاً من مبدأ احترام حرية الأفراد المقيدة بحدود، كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على الترغيب والتيسير، وذلك بدلاً من التنفير والتضييق، فكان حريصاً على توسيع أبواب الخير حتى يشمل كثيراً، أما بعض الدعاة في عصرنا هذا، فينتهجون، من دون وعي، مناهج تنفر من الدين وتضيّق أبواب الخير، حتى لا يسع إلا الحالات النادرة، كما يميل كثير من المنظمين والمفتين إلى اختيار أصعب الأنظمة أو الفتاوى للناس في كثير من القضايا؛ وذلك خوفاً من الوقوع في مظنة التساهل والشبهة، دون تمييز لدرجات أهميتها وخطورتها، أما النبي عليه الصلاة والسلام فالتيسير مبدؤه، فهو يفرق بين الركن والسنة (في الصلاة مثلاً)، والأصل والفرع حتى في حقوق رب العباد.

يقول البراء خَطْبِنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبَدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ عَجَلُهُ لِأَهْلِهِ لَيْسَ مِنَ النَّسْكِ فِي شَيْءٍ فَاقَامَ خَالِي أَبُو بُرْدَةَ بْنُ نِيَارٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أُصَلِّيَ وَعِنْدِي جَذَعَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُسْنَةٍ، قَالَ: اجْعَلْهَا مَكَانَهَا أَوْ قَالَ أَذْبَحْهَا وَلَنْ تَجْزِيَ جَذَعَةٌ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ»^(٢)

(١) أبو داود: الزكاة رقم ١٣٩٨.

(٢) البخاري: الحج رقم ٩١٥.

ويؤكد ابن عباس رضي الله عنهما هذا المبدأ، حيث يقول كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْأَلُ يَوْمَ النَّحْرِ بِمَنِيٍّ، فَيَقُولُ: لَا حَرَجَ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أذْبَحَ، قَالَ: أذْبَحْ وَلَا حَرَجَ، وَقَالَ: رَمَيْتُ بَعْدَ مَا أَمْسَيْتُ، فَقَالَ: لَا حَرَجَ»^(١)، ويبرز التيسير في النصوص الثلاثة التالية، حيث يتصور المسلم، بسبب شدة تقواه، أنه وقع في ذنب خطير، وقد لا يكون الأمر كما تصوره، فيهون عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فعلته ويوجد له مخرجاً منطقياً منها ليخفف من قلقه.

يقول ابن عمر: إِنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ؟ قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ أُمَّ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَبِرَّهَا^(٢).

ويُطْمَئِنُّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطرف الآخر بتشبيهه ما فعله بشيء معروف بإباحته؛ وذلك باستخدام الاستفهام التقريري والاستغرابي.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هَشَشْتُ يَوْمًا، فَقَبِلْتُ وَأَنَا صَائِمٌ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: صَنَعْتُ الْيَوْمَ أَمْرًا عَظِيمًا فَقَبِلْتُ وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ لَوْ تَمَضَّمْتَ بِمَاءٍ وَأَنْتَ صَائِمٌ؟ قُلْتُ: لَا بَأْسَ بِذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَفِيمَ؟^(٣).

وهنا يبدو أن ذنبه لا يندرج في الحدود بمعناها الاصطلاحي، وهذا تائب معترف بذنبه، معتقد أن ذنبه خطير، لهذا سكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم مرات، ثم حاول أن يخرج من شعوره المبالغ فيه بالذنب باستفهامات تقريرية، تشهد بصلاحه، ثم بشره بأن الله قد غفر ذنبه.

(١) البخاري: الجمعة رقم ١٦٢٠.

(٢) الترمذي: البر والصلة رقم ١٨٢٧.

(٣) أحمد: العشرة المبشرون رقم ١٢٢.

يقول أبو أمامة: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ وَنَحْنُ قُعُودٌ مَعَهُ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمَّهُ عَلَيَّ، فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَعَادَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمَّهُ عَلَيَّ، فَسَكَتَ عَنْهُ، وَأُقِمَّتِ الصَّلَاةُ فَلَمَّا انْصَرَفَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ أَبُو أُمَامَةَ فَاتَّبَعَ الرَّجُلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ انْصَرَفَ، وَاتَّبَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَرُدُّ عَلَى الرَّجُلِ فَلَحِقَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمَّهُ عَلَيَّ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ فَأَحْسَنْتَ الْوُضُوءَ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ أَوْ قَالَ ذَنْبَكَ»^(١).

وهنا لا يلوم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابي على تغييره عن مجلسه، ولكن يحرص على مواساته، بوضعه بين خيارين، يصعب إنكار فضل أحدهما على الآخر، يقول معاوية بن قرة عن أبيه: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره فيقعده بين يديه فهلك، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه فحزن عليه، ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فقال: مالي لا أرى فلاناً؟ قالوا: يا رسول الله بنيت الذي رأيت هلك، فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن بنيت، فأخبره أنه هلك فعزاه عليه، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: يا فلان أيما كان أحب إليك أن تتمتع به عمرك أو لا تأتي عدداً إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدتته قد سبقك إليه، يفتحك لك؟ قال: يا نبي الله، بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لي لهُو أحب إلي قال: فذاك لك»^(٢).

(١) مسلم: التوبة رقم ٤٩٦٦.

(٢) النسائي: الجنائز رقم ٢٠٦١.

وكذلك من جاء معترفاً بخطئه لم يعنفه الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن أخبره بما يجب عليه برفق، بل، وساعده على أداء الكفارة التي عليه إذ كان عاجزاً؛ وذلك تدريباً له على الامتثال لأوامر الله، وربما مازحه النبي صلى الله عليه وسلم وضحك من حالته التي أدت به إلى المخالفة مع عجزه عن التكفير عنها، كما هي الحال في النص الآتي:

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ، قَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتَقُهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ: فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا؟ قَالَ: لَا.

«فَمَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ، وَالْعَرَقُ: الْمَكْتَلُ، قَالَ: أَيُّنَ السَّائِلِ؟ فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعْلَى أَفْقَرٍ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا (يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ) أَهْلُ بَيْتِ أَفْقَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ أَطْعِمُهُ أَهْلَكَ»^(١).

ومن صور حث النبي صلى الله عليه وسلم الآخرين على التيسير الحديث التالي، الذي يستخدم فيه النبي صلى الله عليه وسلم الاستفهام الاستنكاري بأسلوب بليغ، يجسد عظم مقالة من يحلف بالله ألا يفعل الخير.

تقول عائشة رضي الله عنها: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةِ أَصْوَاتِهِمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ وَيَسْتَرْفُقُهُ فِي شَيْءٍ، وَالْآخَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَيُّنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبُّ،

وهنا يأتي التعليق الذي يجسد عظم مقالة الرجل مكرراً مرات، ليعبر بقوة مناسبة عن الإنكار على القسم بعدم فعل الخير، فيأخذ التعليق مفعوله فوراً.

تقول عائشة: جَاءَتْ امْرَأَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا بِيٍّ وَأُمِّي ابْتَعْتُ أَنَا وَأَبِيَّ مِنْ فُلَانٍ ثَمْرَةَ أَرْضِهِ فَأَتَيْنَاهُ نَسْتَوْضِعُهُ وَاللَّهِ مَا أَصَبْنَا مِنْ ثَمَرِهِ شَيْئًا إِلَّا شَيْئًا أَكَلْنَا فِي بَطُونِنَا أَوْ نُطْعِمُهُ مُسْكِينًا رَجَاءَ الْبَرَكََةِ فَحَلَفَ أَنْ لَا يَفْعَلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَأَلَّى أَنْ لَا يَفْعَلَ خَيْرًا، تَأَلَّى أَنْ لَا يَفْعَلَ خَيْرًا، تَأَلَّى أَنْ لَا يَفْعَلَ خَيْرًا، فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَاتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شِئْتَ الثَّمَرَ كُلَّهُ وَإِنْ شِئْتَ مَا وَضَعُوا، فَوَضِعَ عَنْهُمْ مَا وَضَعُوا^(١)، وهذه مجموعة تريد الإسلام، ولكن تخشى من المحاسبة على ما ارتكبته من آثام فيما مضى، فيأتي الوحي مسعفاً النبي صلى الله عليه وسلم ليشهرهم بأن الله تواب رحيم، يفرح بتوبة عباده.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: إِنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشُّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْتَرُوا وَزَنُوا وَأَكْتَرُوا، فَاتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ حَسَنٌ لَوْ تَخْبِرُنَا أَنْ لِمَا عَمَلْنَا كَفَّارَةً، فَنَزَلَ: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ) وَنَزَلَتْ: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} ^(٢).

ولم يقتصر التيسير على المسلم، بل يشمل حتى الكافر واحتمال صدق إسلامه، كما هي الحال في الحوار التالي، في ميدان المعركة، عادة تكون الفرصة ضيقة للتفكير، فالقرار ينبغي أن يكون سريعاً والتنفيذ كذلك، بيد أن المسألة تتعلق باحتمال انتهاك حرمة دم المسلم، فيأتي التأييد النبوي في صيغة الاستفهام الاستنكاري المتكرر، ولكن ملطفاً ذلك الاستنكار الشديد بمناداة الطرف الآخر باسمه، والكافر إذا أعلن إسلامه فقد حرم دمه، إلا أن يظهر لنا غير ذلك بصورة مؤكدة.

(١) أحمد: باقي الأنصار رقم ٢٣٥٩٩.

(٢) البخاري: تفسير رقم ٤٤٣٦.

يقول أسامةُ بنُ زيدٍ رضي الله عنهما: بَعَثَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحَرَّةِ، فَصَبَحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِيَنَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ فَطَعَنَتْهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسَلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ»^(١).

والحوار التالي يمثل قمة العناية بحقوق الفرد، يتخذ النبي صلى الله عليه وسلم قراراً فيدرك أن الصواب في غيره، فلا يجد حرجاً في الرجوع عنه، مدعماً رجوعه بدليل قوي، بل ويدافع بحزم عن حق المأمور بقتله في القرار السابق.

يقول النُّعْمَانُ: سَمِعْتُ أُوسًا، يَقُولُ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَفْدٍ ثَقِيفٍ فَكُنَّا فِي قُبَّةٍ فَقَامَ مَنْ كَانَ فِيهَا غَيْرِي وَغَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ رَجُلٌ فَسَارَهُ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَاقْتُلْهُ، ثُمَّ قَالَ أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنَّهُ يَقُولُهَا تَعَوُّذًا، فَقَالَ: رُدَّهُ، ثُمَّ قَالَ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوا حُرِّمَتْ عَلَيَّ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا^(٢)، وجدير بالذكر أن هذا النص يوضح السياق الذي ورد فيه قوله صلى الله عليه وسلم، فيوضح معناه الذي اشتبهه على كثيرين، فاستعملوه دليلاً على استباحة دم من لا يقول لا إله إلا الله، والحقيقة عكس ذلك تماماً، فقد جاءت هذه العبارة لحقن دم من يعلن أن لا إله إلا الله؛ لأن ذلك دليل كافٍ للبراءة، ومن المعلوم عند العقلاء أن هناك فرقاً كبيراً بين أدلة البراءة، التي يكفي فيها أن تشير الشك في التهمة وأدلة الإدانة التي يجب أن تكون قوية.

(١) البخاري: المغازي رقم ٣٩٣٥.

(٢) أحمد: المديون، رقم ١٥٥٧٣.

الخلاصة والتوصيات

إن الهدف الرئيس لهذه الحوارات هو إقناع المخلوقات المكلفة بالإسلام، وتعليم المسلمين أمور دينهم (معتقداته وعباداته، وتشريعاته، ومبادئه الأخلاقية) والتثبيت على الإيمان، والتعويد على التسليم لأوامر الله، وتيسير الطاعة لله، وحسن الاستثمار لنعم الله، والتعويد على المداومة في فعل الخيرات، والمحافظة على حقوق الأفراد والجماعة.

واتضح في البحث أن الحوار النبوي ينطلق من عدد من المنطلقات، ومن أبرزها: احترام حقوق الأفراد، ومنها حرمتهم - في الدنيا - في الاختيار بين الأديان، والدرجات التي تتراوح بين حد أعلى وحد أدنى، سواء في الخير أم في الشر، ومنها حرية المراجعة، سواء التعليق على ما ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم، أم يُشرِّعه، أم يتخذ قراراً، ويترتب على ما سبق، حرصه على إقناع الطرف الآخر، والترغيب والتيسير، ويضاف إلى ذلك مراعاة حال الحوار الآخر، وطبيعة الموضوع، وموقف الطرف الآخر من الموضوع، ونوع الأسلوب والوسائل المتوافرة، لقد اتضح لنا من الحوارات النبوية في هذا الكتيب أن الإسلام قد سبق النظام الديمقراطي بأكثر من اثني عشر قرناً في احترام حقوق الفرد في المجتمع، واحترام حريته في الاختيار والتمتع بهذه الحقوق والحرية، مع تحمل مسؤولية طريقة تمتعه بهذه الحرية، ولهذا ينبغي على المصلحين المسلمين دراسة المصادر الأساسية لدينهم دراسة كافية، حتى يتضح لهم أن المسلمين في غنى عن استيراد بعض المفاهيم أو تمجيد بعض الشعارات المشبوهة أو المخلوطة بالشوائب التي ربما أدت بالمسلم إلى الخروج عن دينه، دون أن يدري، كما ينبغي على من يهاجمون هذه المفاهيم الأجنبية أن يدرسوها دراسة كافية، قبل أن يحاولوا تقويمها أو نقدها، فالنظام الديمقراطي، وإن كان وليد الفلسفة اللادينية Cecularism (العلمانية)، ويضع السلطة التشريعية في يد البشر، فإنها تلتزم بكثير من المبادئ التي تتفق

مع الفطرة السليمة، ودعا الإسلام إليها، قبل أربعة عشر قرناً، فيما يخص حقوق الفرد وحرياته، كما يتضمن النظام الديمقراطي بعض الأساليب والوسائل المفيدة، مثل: الانتخابات والتصويت: أهدافها، وأساليبها، ووسائلها، ويمكن للمسلمين الاستفادة منها في تطبيق المبادئ العريقة في الإسلام.

وبالنسبة إلى حرية التعبير «السياسي» فإن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (مضموناً وأسلوباً) يسبق ما اكتشفه الفكر الغربي بقرون عدة. وهذه الحقائق تؤكد لنا أننا -نحن المسلمين- لسنا في حاجة إلى استيراد مبادئ وشعارات أجنبية، وكل ما يحتاجه المسلمون، أولاً، هو التعرف إلى دينهم وفهمه فهماً صحيحاً، ثم الاجتهاد في تطبيقه، ثم لا مانع من الاطلاع على الإنتاج الفكري الإنساني الذي نشأ في بيئات قديمة أو حديثة غير إسلامية، وقراءتها قراءة واعية ناقدة، تمكن المسلم من التعرف إلى إيجابياته وسلبياته، للاستفادة من إيجابياته وتجنب سلبياته.

كما اتضح من البحث أن الأساليب النبوية والوسائل قابلة للتطبيق ومناسبة في هذا العصر، رغم تطور وسائل التعبير وتنوعها بدرجة تفوق الخيال، فهي تركز على الفطرة البشرية التي فطر الله الناس عليها، وكثير منها في مستوى الاتصال الشخصي، هي وسائل لفظية وغير لفظية، ذات فاعلية لا تعرف البلى، ويمكن للمحاور الاستفادة منها، وإن كان لا يمتلك السلطة التنظيمية أو الشخصية المتميزة التي توافرت للنبي صلى الله عليه وسلم.

والله أعلم وهو الهادي إلى سواء السبيل.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم .
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبو داود، مراجعة محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية---). .
- أبو زهرة، محمد، أصول الفقه (القاهرة: دار الفكر العربي ١٣٧٧). .
- أحمد، الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل (القاهرة: مؤسسة قرطبة). .
- ابن أبي شيبة، أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الصنعاني، مصنف ابن أبي شيبة (الرياض: مكتبة الرشد ١٤٠٩هـ). .
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت (الرياض: مكتبة الرشد ١٤٠٩هـ). .
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد، مسند ابن أبي شيبة، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، وأحمد بن فريد المزيدي (الرياض: دار الوطن ١٩٩٧م). .
- ابن الحاجب، جمال الدين عثمان بن عمرو بن أبي بكر، منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل (بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٨٥). .
- ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٣٩٩). .
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية). .
- ابن هشام، السيرة النبوية، تعليق طه عبد الرؤوف سعد (بيروت: دار الجيل ١٩٧٥م). .

- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري،، تحقيق مصطفى ديب البغا ط٣ (بيوت: دار بن كثير ١٤٠٧هـ).
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا (مكة المكرمة: مكتبة دار الباز ١٤١٤هـ).
- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، سنن الترمذي، أحمد محمد شاكر وآخرون (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- الخلاف، عبد الوهاب، أصول الفقه ط٧ (مصر: مطبعة النصر ١٣٧٦هـ).
- الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي سنن الدارقطني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني (بيروت: دار المعرفة ١٣٨٦هـ).
- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمزمي، خالد السبع العلمي (بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٧هـ).
- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد، سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمزمي، وخالد السبع العلمي (بيروت: دار الكتاب العربي ١٤١٠هـ).
- الربيعية، عبد العزيز بن عبد الرحمن، علم أصول الفقه: حقيقته، ومكانته، وتاريخه، ومادته (الرياض: المؤلف ١٩٩٦م).
- الزحيلي: وهبة، أصول الفقه الإسلامي (دمشق: دار الفكر ١٩٨٦).
- صيني، سعيد إسماعيل، حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ).
- صيني، سعيد إسماعيل صالح، الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين (الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ١٤٢٦هـ).
- صيني، سعيد إسماعيل، التعامل النبوي مع غير المسلمين، بحث غير منشور

- صيني، سعيد إسماعيل، الخطاب الإسلامي بين الرفض والتسليم، مقدم للمؤتمر السنوي الثامن لرابطة العالم الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة في الفترة ٥-٧ ذي الحجة ١٤٢٨ للهجرة.
- صيني، سعيد إسماعيل، حرية التعبير والإلحاد والانحلال، مقدم لمؤتمر «الإعلام المعاصر بين حرية التعبير والإساءة إلى الدين» المنعقد في صنعاء بين ١٢-١٣/٢/١٤هـ.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، الروض الداني (المعجم الصغير)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير (بيروت، عمان: المكتب الإسلامي، دار عمار ١٤٠٥هـ).
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب (بيروت: دار النشر: دار المعرفة).
- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- مالك، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبغي، موطأ مالك، تحقيق محمد عبد الباقي (القاهرة: دار إحياء التراث العربي).
- المباركفوري، أبي العلا محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم، تحفة الأحوذ بشرح جامع الترمذي (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٠هـ).
- المزني، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج، تهذيب الكمال، تحقيق بشار عواد معروف (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٠هـ).
- مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية (١٣٧٤).

- المناوي، زين الدين عبد الرؤوف، التيسير بشرح الجامع الصغير ط ٣ (الرياض: مكتبة الإمام الشافعي ١٤٠٨هـ).
- المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير (مصر: المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٦هـ).
- النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، سنن النسائي الكبرى، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١١هـ).
- النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، سنن النسائي، (المجتبى)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ط ٢ (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية ١٤٠٦هـ).
- النووي، محي الدين يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم بن حجاج، تحقيق خليل مأمزون شيحا ط ٤ (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٨هـ).

قواعد النشر في السلسلة

١. أن يكون الكتاب معنياً بإشاعة ثقافة الحوار، محققاً لأهداف المركز وتطلعاته.
 ٢. أن يتسم بالجدة والأصالة.
 ٣. أن يتبع المؤلف أسس المناهج العلمية توثيقاً وصياغة.
 ٤. تخضع جميع البحوث المقدمة لهيئة تحرير السلسلة للتدقيق والمراجعة.
 ٥. ألا يكون قد سبق نشره في مكان آخر.
 ٦. أن يكون الكتاب ذا صلة بالواقع والأحداث المعاصرة.
 ٧. يتراوح الكتاب من ٥٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ كلمة.
 ٨. يقدم المؤلف ثلاث نسخ مطبوعة من كتابه ونسخة إلكترونية على قرص (CD)، وملخص وجيز في حدود ثلاث صفحات.
 ٩. إرفاق سيرة ذاتية للمؤلف.
 ١٠. يتم إحالة البحث إلى فاحصين لإجازة البحث قبل نشره.
 ١١. يمنح المؤلف مكافأة مالية، إذا أجاز للنشر مع (١٠٠) نسخة من كتابه.
 ١٢. المكاتبات توجه إلى أمين هيئة تحرير سلسلة رسائل في الحوار، عبر البريد الإلكتروني: (rs@kacnd.org)
- هاتف: ٩٦٦ ١١ ٢٦٦٥٧٧٧ + فاكس: ٩٦٦ ١١ ٢٦٦٥٧٧٨ +
ص.ب: ٨٩٨٦٦، الرياض: ١١٦٩٢



مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني

ص.ب. 89866 الرياض 11692
المملكة العربية السعودية
P.O. Box 89866 Riyadh 11692,
Kingdom of Saudi Arabia



+966 11 2665777



+966 11 2665778



info@kacnd.org



www.kacnd.org